الممالك العربية القديمة

الفترة التي سبقت قيام ممالك الجزيرة العربية من الفترات التي تكونت معرفتنا بها من خلال السجلات القديمة والمصادر التاريخية وبخاصة التوراة والمادة الأثرية الثابتة والمنقولة التي تشكل المصدر الأساسي من حيث وفرة المعلومات وتنوعها. إلا أن نمطية الاستيطان خلال الفترة الانتقالية بين ممالك الجزيرة العربية وبين ما سبقها سادت فيها نمطية الاستيطان غير الحضري. وكان التكوين القبلي الذي ظهر أساساً في مناطق البادية في شمال الجزيرة العربية ثم جنوبها، مرتبطاً بالوضع الاقتصادي للبادية ارتباطاً وثيقاً. وساعدت نمطية الاستيطان على وجود التغيرات السياسية الطارئة في ذلك الحين؛ فالقبائل كانت تفتقد المورد الاقتصادي الدائم، إذ كانت مواردها الاقتصادية تعتمد إما على الرعي، ومن ثم التنقل المستمر وراء المرعى، أو شن الغارات على الواحات لنهب القوافل العابرة، أو الاستفادة من الموارد الزراعية المتناثرة بين الواحات وتخوم الدول المجاورة ذات الامتدادات الخصبة. وقد ذكرت النصوص الآشورية عدداً من هذه القبائل التي كان الملوك الآشوريون يحتكون بها في أثناء حملاتهم على المناطق الواقعة غربي وادي الرافدين. ولم يقتصر التكوين القبلي على نظام القبيلة الواحدة، بل كان هناك أيضاً نظام التحالفات القبلية التي يتكون كل منها من مجموعة قبائل يرأسها زعيم يطلق عليه الملك. ففي النص الذي يروي إنجازات الملك الآشوري شلمنصر الثالث من سنة ٨٥٣ق.م. نسمع عن جندبو ملك العرب الذي كان ضمن ١٢ ملكاً كونوا حلفاً يرأسه ملك دمشق للتصدي للملك الآشوري في موقعة قرقر.

الممالك العربية المبكرة

أدوم – الأدوميون. تطلق كلمة أدوم في العهد القديم على المنطقة الواقعة جنوب وغرب البحر الميت. وتعني أدوم اللون الأحمر، وهو مشتق من لون الأحجار الرملية للجبال التي تمتد من جبل الرقيم إلى وادي رم، ويصل ارتفاع جبل هارون في البتراء إلى ١٣٠٠م فوق سطح البحر، أما قمة جبل رم فيصل ارتفاعها إلى ١٨٠٠م، وتقوم ثروة هذه الأراضي على الرعي والزراعة ومناجم النحاس في وادي عَرَبَة وفينان، وخربة النحاس وأم العمد في الجنوب. وقد عُرف الأدوميون بالزراعة والتجارة البحرية والنزعة الدينية.

إن معلوماتنا عن تاريخ أدوم في الواقع أقل من معرفتنا بأغلب جيران إسرائيل القديمة، ويعود ذلك إلى عدم وجود سجلات تاريخية باقية عن أدوم القديمة، كما أن أدوم كانت معزولة دائماً.

كان الاتصال الطبيعي لأدوم من جهة الجنوب مع مدين والحجاز، ومن جهة الغرب مع مصر عبر خليج العقبة وجزيرة سيناء، ومن الشمال مع سوريا ودمشق عبر الطريق الصعب الذي يؤدي عبر وادي المجيب إلى منطقة العمونيين.

وقد ذُكرت أدوم أكثر من مرة في المصادر المصرية، إذ ورد أن الفراعنة المصريين، من رمسيس الثاني إلى رمسيس الثالث، أغاروا مرات عديدة على أدوم لإخضاع الشاسو الذين سكنوا تلك الأراضي التي اسمها سعير.

وبالإضافة إلى ذلك نجد عدداً من الإشارات التاريخية عن أدوم في السجلات الأشورية والبابلية. كما أن اللقى الحديثة من المسوحات والاكتشافات الأثرية ذات قيمة بالغة في إعطاء بعض المعلومات عن أدوم، إلا أن الإشارات الواردة عن أدوم في العهد القديم تبقى على قدر كبير من الأهمية.

والأدوميون أو أدوميرـ، كما أطلق عليهم في العصر اليوناني، هم ذلك الشعب الذي جاء من الصحراء العربية ودخل حوالي القرن الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد إلى أرض الحضارة في جنوب البحر الميت، تلك الأرض الواقعة شرق وادي عَرَبَة. وهي في الواقع أرض غير خصبة على عكس المرتفعات المتصلة بها. فمنطقة عربة نفسها صحراء قليلة الخضرة، أما منطقة الجبال التي تقع إلى الغرب منها فتبدو أكثر خصوبة.

ونعرف من العهد القديم أن الأدوميين أبعدوا الحوريين وكونوا حلفاً من اثنتي عشرة قبيلة في شكل ملكية انتخابية، كذلك نعرف أن القبائل الإسرائيلية كان

عليها أن تطوف حول أدوم. وقد حارب شاؤول الأدوميين لكن داود هو الذي أخضعهم بالقوة واستطاع أن يدير أدوم بحاكم إسرائيلي. ولكن الأمير الأدومي حدد الذي نجا من تلك المذبحة وهرب إلى مصر، نصب نفسه ملكاً على أدوم سراً وعرّض المرتفعات الشرقية، طريق البضائع التجاري إلى عصيون-جبر، للخطر (1Kgs 11,14). وعلى الرغم من ذلك فقد بقيت أدوم خاضعة ليهودا حتى منتصف القرن التاسع ق.م كما ورد في سفر الملوك الثاني، الإصحاح الرابع عشر، الآية العشرون إذ يظهر يورام ملك يهودا منتصراً على أدوم.

والأدوميون في القرن الثامن قبل الميلاد هزمهم مرة أخرى الملكان أَمْصيا وعزريا.

ومنذ عام ٨٠٠ قبل الميلاد يرد ذكر الأدوميين في كتابات الملوك الآشوريين باسم أدمو، فقد دفع ملك أدومو المسمى قوس ملك الجزية لتيجلات بلصر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ق.م.) وكذلك فعل إيرامُّو فيما بعد لسرجون الثاني كما أن أحاز ملك يهودا الذي كان خاضعاً لتيجلات بلصر أيضاً فقد السيطرة على أدوم ومن ثم دفعت أدوم الجزية لسنحريب (٧٠١ ق.م).

وفي عامي ٥٩٨ق.م و٥٨٧ق.م اشترك الأدوميون في غزو القدس، فثار الخلاف القديم للشعوب المتآخية كما تشهد بذلك تهديدات الأنبياء. وقد ظهرت أدوم كثيراً على أنها نموذج للدولة ذات العداء الديني. فبينما احتفظ الأدوميون بالمنطقة اليهودية من الخليل جنوباً، أدار دفة الحكم في هذه المقاطعة من لخيش حاكم فارسي.

وفي نهاية القرن الرابع ق.م استقر الأنباط في المنطقة الجبلية الشرقية لأدوم، وقد أخضع يوهانس هيركانوس Johannes I. Hyrkanus (١٣٥-١٠٤ق.م) الأدوميين وفرض عليهم الختان والقانون الديني اليهودي. ولهذا ظهر من هؤلاء الأدوميين أوتيبتر Autipater، وهيرودس Herodes. ومع تخريب بيت المقدس اختفى أيضاً الأدوميون المتهودون من التاريخ.

عمون - العمونيون. عمون الأرض الوحيدة من بين بلاد شرق الأردن التي احتفظت باستقلالها. وكانت منطقة العمونيين تمتد من نهر الزرقا في الشمال، حتى نهر عرنون في الجنوب. والعمونيون أصلاً قبيلة صحراوية اندفعت إلى كنعان في الموكب الآرامي للاستيلاء على الأرض، وذلك في نهاية العصر البرونزي، ولكنهم تمكنوا قبل الإسرائيليين من تأسيس مملكة

في أعالي نهر الزرقا، وكانوا من هذه المنطقة يغزون دائماً أو يهجمون على منطقة قبيلة جد Gad. ولكن تمكن يفتا Yephta من صدهم أولاً عند قليد، ثم بعد ذلك تمكن شاؤول Suol عند يابش من إبعادهم مرة أخرى إلى المنطقة التي ينتمون إليها.

وكان داود هو أول من غزا عاصمتهم ربة عمون (عمّان الحالية)، ونُصّب ملكاً عليها. وعلى الرغم من أن رحبعام Rehabeam كانت من عمون فإن عمون سقطت في يد المملكة الشمالية عند تقسيم المملكة اليهودية، ولكنها استطاعت سريعاً أن تصبح مستقلة تقريباً.

وعلى العكس من ذلك كان الملوك العمونيون منذ انتصار شلمنصر الثالث عام ٨٤٥ ق.م أتباعاً خاضعين لآشور كما تشهد بذلك نقوش تيجلات بلصر الثالث (٧٥٤-٧٢٧ ق.م) وأسرحدون وأشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٦ ق.م).

وكان العمونيون يشنون هجمات قاتلة بين الفينة والأخرى على يهودا والقدس في زمن السيادة البابلية وكذلك الفارسية، مما جعل مملكة يهودا تضطر إلى الدفاع عن نفسها ضد تلك الهجمات العمونية. ومما يؤيد ذلك أن عدداً من الأنبياء وعظوا الإسرائيليين ونبهوهم إلى خطر العمونيين. وكان إله العمونيين هو ملك الذي نصب له ملك اليهود مذبحاً لتقديم القرابين بالقرب من القدس.

وإلى يومنا الحاضر ما يزال مكان عاصمة العمونيين واسمها قائماً متمثلاً في مدينة عمان بالأردن.

الممالك العربية الوسيطة

سبأ. يُعد تاريخ سبأ عمود تاريخ اليمن القديم لأنه أوضح تواريخ ممالك جنوب الجزيرة العربية وأغزرها مادة.

وأول المصادر التي يستمد منها المرء معلوماته عن مملكة سبأ التوراة؛ فقد ورد ذكر سبأ في التوراة عدة مرات وبصيغ مختلفة. وتحدثت التوراة عن نسلهم وعلاقاتهم التجارية بأفريقيا وبلاد حوض البحر المتوسط، وذكرت قصة ملكة سبأ وزيارتها للنبي سليمان، عليه السلام، في فلسطين، ويرجح أنها مملكة سبأ الجنوب علماً أن التوراة لم تنص على ذلك بشكل واضح.

أما في الحوليات الآشورية فيرد ذكر الحاكمين السبئيين يثع أمر وكرب إل. فالأول دفع جزية للملك الآشوري سرجون الثاني سنة ٧١٥ق.م. والثاني بعث بهدية إلى الملك الآشوري سنحريب سنة ٦٨٥ق.م. ويرى بعض العلماء المحدثين أن هذين الحاكمين هما اللذان

ذكرتهما النقوش السبئية القديمة، أي «يثع أمر بين سـمه علي يـنف» و «كرب إل وتر» صاحب النقش الشهير بنقش النصر، كما يرى البعض الآخر غير ذلك.

كما ورد ذكر سبأ في القرآن الكريم وعند الإخباريين العرب. أما المؤرخون اليونان والـرومان فقد كتبوا عـن أخبار السبئيين واستقوا معلوماتهم مـن التجار الذين كانوا يذهبون إلى أسواق اليمن. وقد عرّف هؤلاء المؤرخون دولة سبأ على أنها دولة ذات شهرة تجارية واسعة عملت على تـصدير منتـجات جنوب الجزيرة العربية من الطيب واللبان والعود والمعادن النفيسة، بـالإضافة إلى تجارة الهند من التوابل والعاج والأقمشة الحريرية.

واسم سبأ ليس كما يذكر الإخباريون من السَّبْي بل هو من الغزو، وفي النقوش العربية الجنوبية القديمة (سبأ) يعني غزا، وسبأتن تعني الغزوة.

وأرض سبأ في الأصل هـي منطقة مأرب وتمتد إلى الجوف اليمني شمالاً ثم ما جاورها من المرتفعات الشرقية، مثل مناطـق أرحب وخولان وقاع صنعـاء، وربما شملت أرض سبأ في فترات امتداد حكمها مناطق أبعد من ذلك.

وقد استطاع المؤرخون، من دراستهم للنقوش الـسبئية ومقارنتـهم بينها وبين الروايات الـعربية والعـبرية والحبشـية، تقسـيم تاريخ دولة سـبأ إلى مرحلـتين أساسيتين:

آثار سبأ في مأرب باليمن

المرحلة الأولى: وتبدأ منذ حوالي القرن الثامن قبل الميلاد حتى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد. وهذه الفترة يطلق عليها الباحثون عصر المكربون حيث اتخذ حكام سبأ في هذا العهد لقب مكرب، وهو الحاكم الديني الذي يجمع بين السلطة الدينية بشكل كبير والسلطة السياسية بشكل أقل.

كان لهؤلاء الحكام الدينيين صفة كهنوتية، بل كانوا زعماء الكهنة في مجتمع سبأ. وقد امتاز عهد التكوين هذا بالحروب الكثيرة والمنازعات الدينية التي أدت في النهاية إلى تكوين دولة سبأ، وانتصار آلهة سبأ على آلهة القبائل الأخرى. ومن أشهر المكربين على الإطلاق (كرب إل وتر) صاحب نقش النصر الشهير، الذي أخضع كل القبائل لسيطرة سبأ. وكانت عاصمة الدولة في هذا العصر هي مدينة صرواح التي يوجد بها هيكل المقه (الإله المقه) إله سبأ الرئيسي.

واهتم حكام سبأ في هذه الفترة بتنظيم الري وإقامة السدود للاستفادة من مياه الأمطار والسيول واستصلاح الأراضي الزراعية.

المرحلة الثانية: وتبدأ من القرن الخامس ق.م. إلى القرن الأول الميلادي. وتعرف هذه الفترة بفترة ملوك سبأ، إذ تخلصت الملكية السبئية من الطابع الديني، كما أن عاصمة الدولة انتقلت من صرواح إلى مدينة مأرب التي اشتهرت بسدها العظيم.

وقد تميز هذا العهد من تاريخ دولة سبأ بتطور الزراعة ونمو التجارة اليمنية واحتكار تجارة التوابل. وكان موقع مأرب في وادي ذنة يتحكم بطريق تجارة اللبان، الذي كان من أحب الطيوب وأغلاها في بلاد الشرق القديم وحوض البحر المتوسط.

وامتاز نظام الحكم في دولة سبأ بأنه نظام قبلي، تمتلك فيه قبيلة سبأ مقاليد الأمور في حين احتفظت القبائل والمدن الأخرى الواقعة تحت سيطرتها باستقلالها المحلي. واستطاعت قبيلة سبأ لأسباب اقتصادية ودينية أن تؤلف حلفاً اقتصادياً قبلياً باستغلال الموارد الزراعية والتجارية. كما استطاع السبئيون، باستغلال الموارد الطبيعية، أن يبتدعوا نظاماً للري يعتمد على الاستفادة من مياه الأمطار والسيول، وأكبر شاهد على ذلك هو سد مأرب العظيم. وقد تمكنت سبأ أيضاً من توحيد المجتمع حول عبادة الإله الرئيسي للدولة وهو المقه، ووصلت إلى درجة كبيرة من التفوق في الهندسة المعمارية، ويظهر أثر ذلك في المعابد وأماكن العبادة المختلفة.

وفي أواخر القرن الثاني قبل الميلاد ثارت بعض القبائل اليمنية، مثل حضرموت وقتبان، على الدولة الزعيمة سبأ. واستغلت إحدى القبائل المؤسسة لدولة سبأ، وهي قبيلة حمْير، هذا الخلاف السياسي لمصلحتها حيث استطاعت توحيد القبائل اليمنية وتكوين دولة حمير.

معين. من الدول المهمة التي قامت في جنوب الجزيرة العربية دولة معين في منطقة الجوف باليمن، فقد تمكنت مناطق الجوف اليمني، وعلى رأسها العاصمة الدينية يثل براقش، من السيطرة على طريق تجارة اللبان بمعاونة قتبان وحضرموت. وهناك خلاف بين المؤرخين حول فترة دولة معين، ولكن الرأي الراجح هو أن هذه الدولة نشأت في القرن الخامس قبل الميلاد واستمرت إلى مطلع القرن الأول الميلادي، وكانت عاصمة المعينيين قرنو التي وردت في الكتب القديمة باسم قرناء.

وقد عرف العالم القديم المعينيين وذكرهم المؤلفون اليونان في كتبهم وسموا اللبان باسمهم. وذكر بالإضافة إلى المعينيين السبئيين والقتبانيين والحضارمة.

ومن اللافت للنظر أن دولة معين بدأت بعهد ملكي، أي بعهد تنفصل فيه السلطة الدينية عن السلطة السياسية، وهي بذلك تكون قد شذت عن النهج الذي كان سائداً لدى دول الجنوب الأخرى. وقد يكون مرد ذلك إلى تأثر معين بدول الشمال التي كانت على صلة وثيقة بهم، خاصة دولة لحيان وممالك شمال الجزيرة. ومن المحتمل أيضاً أن تكون معين قد مرت في البداية بالعهد المكربي، ولكنها لم تسجله في نقوشها وكتاباتها لعدم قوته ووضوحه.

بعد ذلك اتجه المعينيون إلى شمال الجزيرة العربية حيث استفادوا من المدن التجارية على طريق التجارة، مثل قرية الفاو في وادي الدواسر على الطريق بين نجران وشرق الجزيرة العربية، دادان

نقش معيني على لوحة من البرونز

و(ددن) في وادي القرى على الطريق بين نجران وغزة. وقد كان هذا التوسع المعيني محض توسع اقتصادي، ويرجح أن تكون قمة ازدهاره قد حدثت بين القرن الثالث والقرن الأول قبل الميلاد. فقد انطلق المعينيون من عاصمتهم قرنو إلى الأسواق العالمية في فلسطين ومصر واليونان وغيرها، إذ عثر بمصر على قبر أحد التجار المعينيين وقد نقش عليه اسمه (زيد إل بن زيد)، وكان يتاجر بالمُر والقرفَة في أيام بطليموس الثاني، حوالي ٢٦٤ق.م.

وكان نظام الحكم في دولة معين ملكياً شبه قبلي، وللملك مندوب يسمى في النقوش القديمة باسم الكبير يمثله لدى القبائل والمدن الأخرى من دون التدخل في شؤونها الداخلية.

وعرفت المدن في هذه الدولة نظاماً يمكن أن يطلق عليه نظام الحكم المحلي، إذ كان لرؤساء القبائل رأي في تسيير أمور المدينة وكانوا يجتمعون في دار لهم تسمى مزود أو مسود. وقد استطاع العلماء من خلال دراستهم للنقوش المعينية أن يستخلصوا كثيراً من المعلومات عن النظم المالية، مثل نظام الضرائب الذي ينقسم إلى ضرائب للملك وضرائب للمعبد وضرائب لشيخ القبيلة.

وكان لكل مدينة معبدها الخاص وكان فيه أكثر من إله، وقد عُرف معبد العاصمة قرنو باسم معبد رصفم رصاف. وللمعبد المقام الأول في الحياة، وله نوعان من الضرائب هما النذور التي يؤديها الناس تقرباً للآلهة، وضرائب العشور أي عُشر الدخل. ومن أشهر الآلهة لدى المعينيين ود (إله القمر)، عثتر (الزهرة)، نكرح (الشمس) وغيرها.

وكانت نهاية دولة معين على أيدي السبئيين الذين بدأوا بإمارة صغيرة ثم توسعوا حتى سيطروا على اليمن كله. وما زلنا نجهل بالتحديد التاريخ الذي انتهت فيه دولة معين. ولعله كان في نهاية القرن الأول ق.م.

حمير. كان من أسباب ضعف مملكة سبأ انتقال طريق التجارة من البر إلى البحر حيث آلت التجارة البحرية إلى شعب حمير، وأدى ذلك في نهاية الأمر إلى قيام ما عُرف بدولة حمير. اتخذ حكام هذه الدولة في أول قيامها لقب ملك سبأ وذو ريدان. وتعد هذه المرحلة عهداً ثالثاً من عهود الحكم السبئي، إذ احتفظت قبيلة سبأ باسمها وأعطت القيادة لقبيلة حمير. وقد تفوق الحميريون في التجارة البحرية حتى أصبحوا سادة البحر الأحمر في هذا المجال. ويبدو أن كلمة حمير

مشتقة من الحمرة، ويزعم الإخباريون أن حمْيَر جد الحميريين وهو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

ويميل عامة المؤرخين إلى تحديد بداية دولة حمير بعام ١١٥ق.م. وكانت عاصمتها آنذاك هي ظفار شمال شرقي ميناء مخا على البحر الأحمر. ومنذ عام ٣٠٠م بلغت الدولة الحميرية أقصى توسعها في اليمن والعربية الجنوبية، وأصبح اسم الدولة مملكة سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت، وبعد ذلك بسنوات تطور الاسم إلى مملكة سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت وعربهم في الجبال وتهامة.

وبعد أن غزا الأحباش اليمن ما بين سنتي ٣٤٠م-٣٧٨م أطلق على دولة حمير اسم مملكة أكسوم وحمير وريدان وحبشت وسلم وتهامة.

وقد أطلق الإخباريون العرب على ملوك حمير لقب التبابعة، ومفردها تبّع، وقد تكون كلمة تبع هي تبع إحدى قبائل همدان بعد تحريفها، مع العلم أن كلمة تبع لم ترد في نصوص المسند. وكان من أشهر هؤلاء التبابعة أبو كرب أسعد الكامل الذي حكم ما بين سنتي ٣٨٥م-٤٢٥م.

وقد تعرضت منطقة جنوب الجزيرة العربية لكوارث وأزمات سياسية واجتماعية واقتصادية في أيام الدولة الحميرية، إذ أصيبت الدولة بالوهن وضعف الاقتصاد نتيجة لتوصل الرومان لمعرفة سر الرياح الموسمية واستطاعتهم الإبحار مباشرة عبر البحر الأحمر باتجاه شرق إفريقيا والهند والوصول إلى مصادر التجارة، وهذا أثر على الوضع الاقتصادي لجنوب الجزيرة، كما غزا

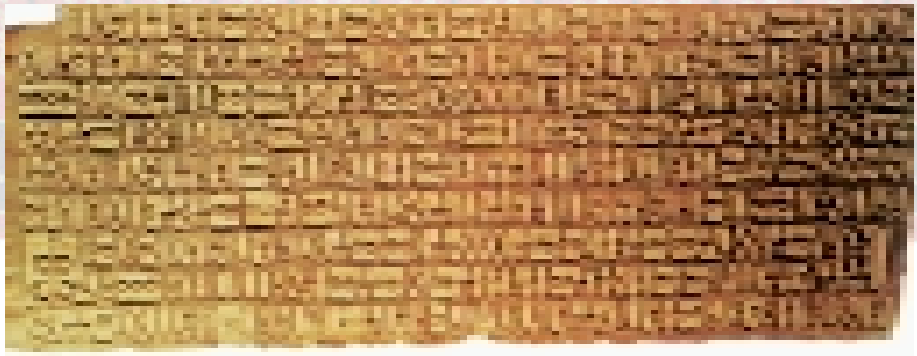

نقش حميري

الأحباش اليمن واحتلوا أجزاء منها ما بين سنتي ٣٤٠م-٣٧٨م. وفي هذه الفترة الزمنية من حكم دولة حمير دخلت اليهودية والنصرانية إلى العربية السعيدة، واتخذ حكام الحبشة قضية اضطهاد ملك حمير ذي نواس لنصارى نجران وقتلهم في الأخدود ذريعة لاحتلال اليمن، وقد شجعهم ملك الروم على غزو اليمن.

وقد رافق احتلال الأحباش لليمن عام ٥٢٥م كوارث عظيمة وأزمات اقتصادية وسياسية، أهمها انهيار سد مأرب في حوالي منتصف القرن السادس الميلادي مما أدى إلى إصابة اقتصاد اليمن الزراعي بالضرر. فهاجرت بعض القبائل إلى خارج اليمن، وقامت الثورات ضد الغزاة المحتلين.

ولما ضعف الحكم الحبشي في اليمن نتيجة المقاومة المحلية والخلافات بين قادة الاحتلال، ظهر سيف بن ذي يزن وتحالف مع الساسانيين واستعان بهم على طرد الأحباش من اليمن، وظل الحكم الساساني مهيمنًا على اليمن حتى عام ٦٢٨م عندما أسلم عامل الفرس على اليمن، وبذلك دخلت بلاد اليمن في الدولة الإسلامية.

الأنباط. مملكة الأنباط من الممالك العربية الرئيسية التي أسهمت في تكوين التاريخ السياسي والاقتصادي لشمال غرب الجزيرة العربية. والأنباط من القبائل العربية الأصلية التي أحسنت استغلال أراضيها التجارية والزراعية منذ بداية استقرارها وظهورها على أنقاض الحضارة الأدومية.

وفي البداية اكتفى الأنباط بفرض الضرائب على القوافل التجارية المارة في أراضيهم نظير حماية هذه القوافل وتأمين احتياجاتها من المؤن. ومع مرور الوقت زاد طموح الأنباط وسلطانهم بعد دخولهم عالم التجارة بأنفسهم، فأصبحوا يشترون من البضائع القادمة من جنوب الجزيرة العربية ويبيعونها في الموانىء التجارية الواقعة في بلاد الشام، كما استفادوا من المتاجرة ببضائع بلاد الشام ونقلها إلى الجزيرة العربية.

وعلى الرغم من اختلاف المؤرخين والآثاريين حول المكان الذي جاء منه الأنباط، إلا أن الرأي الراجح حتى الآن أنهم من القبائل العربية التي هاجرت من وسط الجزيرة العربية وشمالها واستقرت في جنوب الأردن وبالتحديد في وادي موسى، ثم امتد نفوذها جنوباً ليشمل المنطقة الممتدة بين الجوف ومدائن صالح. وهناك من الباحثين من يعتقد أنهم نزحوا من منطقة القصيم.

وفي حوالي القرن الخامس ق.م تمكن الأنباط من طرد الأدوميين والسيطرة على المناطق الواقعة جنوب الأردن وبدأوا بتكوين كيانهم السياسي متخذين من البتراء عاصمة لهم. فابتكروا طرزاً معمارية رائعة تمثلت في واجهات المقابر الصخرية في كل من البتراء والحِجْر (مدائن صالح).

وتعكس العمارة النبطية مدى تأثر الأنباط بالعمارة الهلينستية وعناصرها المميزة، وتتجلى مع ذلك اللمسات الفنية للأنباط في بعض العناصر المعمارية الخاصة بهم، مثل ابتكار الطراز المسنن في تتويج منشآتهم المعمارية، وكذلك التيجان التي تعلو الأعمدة الوهمية لواجهات المقابر.

ولعل من أقدم الإشارات التاريخية التي تعكس أهمية الأنباط في المسرح السياسي ما أورده ديودور الصقلي حين ذكر أن حاكم سوريا أنتيجونس أوعز لزميله أتينوس سنة ٣١٢ق.م بقيادة حملة عسكرية ضد الأنباط لإخضاعهم، وليضمن من ناحية أخرى السيطرة على الخط التجاري وتحالفهم معه ضد بطليموس. واستطاع أتينوس بالفعل مباغتة الأنباط ليلاً في عاصمتهم، ونهب ما استطاع من المعادن النفيسة والبخور

نموذج للعمارة النبطية – البتراء

والتوابل. إلا أن الحملة باءت بالفشل الذريع عندما هاجم الأنباط الغزاة أثناء رجوعهم ليلاً وتمكنوا من قتل أكثر أفراد الحملة التي كان عدد أفرادها يبلغ أربعة آلاف، ولم ينج منهم إلا خمسون فارساً.

وحفظت لنا المصادر الكلاسيكية والنصوص النبطية المكتشفة حتى الآن أكثر من اثني عشر اسماً من أسماء الملوك الذين تعاقبوا على حكم الأنباط، كان أقدمهم الحارث الأول (١٦٩-١٤٦ق.م) الذي كان معاصراً ليهوذا المكابي مؤسس الأسرة المكابية. ولعل من أشهر ملوك الأنباط

وأكثرهم نفوذاً الحارث الثالث (٨٧-٦٢ق.م) لاقتران حكمه بالسياسة التوسعية التي بدأت باستيلائه على دمشق بعد أن عانت من الحروب اليونانية الداخلية، كما سيطر على سهل البقاع. وقد فرضت الظروف السياسية على الحارث الثالث التدخل في شؤون اليهود أكثر من مرة، كان أولها معركة حديدة إلى الشرق من يافا، حيث حقق الجيش النبطي انتصاراً ساحقاً على اليهود. أما المرة الثانية لتدخله فكانت عندما تنازع ولدا إسكندر خبايوس (أرسطوبولس وهركانوس) زعامة اليهود، إذ أعد الحارث جيشاً قوامه خمسون ألف رجل فهاجم أرسطو الذي هزمت قواته ولجأ إلى القدس.

ولكن كان لتدخل الرومان في هذه الأحداث أثر مباشر في تغير المواقف والنتائج، فقد نجح أرسطو بولس في أن يضم إليه قائد الحملة الرومانية التي هاجمت في البداية مدينة دمشق، ثم واجهت القوات النبطية المنسحبة عند بايرون حيث دارت المعركة التي خسر فيها الأنباط وقتل منهم حوالي ستة آلاف.

فقد الأنباط كيانهم السياسي كدولة مستقلة بعد وفاة آخر ملوكها (رب إيل الثاني) عندما أمر الإمبراطور تراجان نائبه

الممالك العربية الوسيطة وطرق التجارة القديمة

في سوريا كورنيليوس بالما بالاستيلاء على البتراء في سنة ١٠٦م. وضمت سنة ١١٢م إلى المقاطعة العربية وحلت بصرى محل البتراء عاصمة للمقاطعة العربية.

وعلى الرغم من ذلك ظل الأنباط يمارسون نشاطهم التجاري حتى منتصف القرن الثاني الميلادي. وفي القرن الثالث الميلادي فقدت البتراء أهميتها التجارية وأصبحت تدمر المركز التجاري الرئيسي البديل.

ومن أهم الحواضر النبطية الواقعة في المملكة العربية السعودية مدائن صالح (الحجْر) التي تعد ثانية أهم مدن الأنباط والعاصمة الجنوبية للدولة النبطية، بالإضافة إلى مواقع البدع ودومة الجندل وأكرا كومي وإثرة. وتحوي هذه المواقع آثاراً نبطية مهمة، تعكس جانبًا من تاريخ الحضارة النبطية في شمال الجزيرة العربية وغربها.

الممالك العربية المتأخرة

كندة الثانية (نجد وما حولها). كندة من الممالك التي يحيط بتاريخها كثير من الغموض أكثر مما يحيط بتاريخ بعض الممالك العربية القديمة الأخرى. ويعزى ذلك لقلة الآثار التي خلفتها والنصوص التي تتحدث عنها، كما أن وجودها في قلب الصحراء أبعدها إلى حد ما عن معرفة المؤرخين الكلاسيكيين بها، ما عدا بعض الإشارات اليسيرة التي ذكرها بعضهم مثل بليني وبطليموس وثيوفانس، وهي إشارات تحمل في معظمها كثيراً من الجدل. إلا أن هذه المصادر الكلاسيكية وعلى الرغم من أنها تعنى بجانب من جوانب حياة كندة، وهو العلاقة السياسية بين دولة كندة والبيزنطيين، تعدّ مصدراً مهماً من المصادر التي تعطينا فكرة واضحة عن حياة هذه المملكة.

أما المصدر الآخر الذي نستقي منه معلوماتنا عن مملكة كندة فهو المصادر العربية. ويقصد بها كتابات المؤرخين العرب وما تناقله الرواة وما ورد على ألسنة الشعراء، إلا أن هؤلاء المؤرخين والكتاب والرواة الذين كتبوا عن كندة وملوكها قد تأثروا إلى حد ما بميولهم القبلية. كما نجد في كتاباتهم كثيراً من المغالاة والقصص المنقولة من مصادر متضاربة.

ويرى النسابة أن كندة من قبائل قحطان، تنسب إلى ثور بن عفير بن عدي بن الحارث، ولكنهم يختلفون أيضاً حين يذكر بعضهم أن كندة من قبائل عدنان. أما الإخباريون فيرون في كندة

قبيلة كانت تسكن شرق بلاد اليمن مما يلي حضرموت، ثم نزحت من حضرموت نحو الشمال حيث نزلت أرض معد بنجد. وهم أيضاً يختلفون حين يذكر بعضهم أن كندة سكنت حضرموت بعد نزوحها عن البحرين والمشقر وغمر ذي كندة، ثم نزحت من حضرموت ثانية فنزلت أرض معد.

وقد جاء ذكر ديار كندة ومنازلها في الأخبار، وذكرها الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب. كما يروي الإخباريون أن مملكة حُجْر الكندي كانت نجد، وذكروا من المواضع غمر ذي كندة. كما أن المواضع التي ذكرها امرؤ القيس في شعره، مثل: سقط اللوى والدخول وحومل وتوضح والمقراة ومأسل وقرقرى، تقع تقريباً في منطقة واحدة هي المنطقة الواقعة في عالية نجد الجنوبية حتى وادي الدواسر جنوباً. ومن ذلك يمكن القول إن أصل موطن كندة هو ما بين وادي العبر ودوعان رافدي حضرموت، وبعد انتقالها استقرت في عالية نجد.

وكانت دولة كندة على علاقة طيبة بدولة حمير أو التبابعة حتى إنه يُروى في الكتب العربية أن الملك الحميري أب كرب أسعد أو ولده حسان تبع قد أتى بأول ملك عُرف من ملوك كندة (حجر) من الجنوب، وهو في طريقه إلى فتح العراق، وتركه في الجزيرة ومات. ثم أنشأ حجر بن عمرو، المعروف بآكل المرار، مملكة كندة. فهذه الرواية تدل على أن ملوك حمير حاولوا أن ينشئوا مراكز تجارية وسط الجزيرة للحفاظ على الطرق التجارية من جنوب الجزيرة إلى شمالها.

وتذكر الكتب العربية أن حُجْراً كان عالماً بشؤون الحكم وسياسة الدولة، ولكي يحافظ على علاقته الحسنة مع بقية القبائل العربية حاول أن يصاهر رؤساء القبائل، ونجح في ذلك إلى حد كبير واستطاع أن يوسع دولته بالمصاهرة أو بالحرب أو بالمعاهدات التي كان يعقدها مع القبائل لتكون تحت سيطرته. وقد وصلت حدود مملكته، وفقاً للمصادر العربية، إلى الحجاز وشمال الجزيرة العربية والبحرين، بل يذهب بعض الدارسين إلى أن حدود مملكته وصلت إلى حدود المناذرة شمالاً.

وولي بعد آكل المرار ولده عمرو الملقب عمرو المقصور ربما لإنه اقتصر على حدود مملكة كندة الأولى قبل توسع مملكة أبيه. وقد كانت علاقاته قوية مع الحميريين، كما أنشأ علاقة جيدة مع

المناذرة حتى إنه زَوّج ابنته للمنذر بن ماء السماء، في حين أن علاقته مع الغساسنة كانت على ما يبدو سيئة.

وخلف عمرو بن حجر ولده الحارث بن عمرو الكندي الذي جاء ذكره في المصادر البيزنطية بسبب الحروب التي قامت بينه وبين حاكم فلسطيني في عهد الإمبراطور إنستاسيوس عام ٤١٧م واستطاع فيها الحاكم الفلسطيني هزيمة جيش الحارث. وكان الحارث حسن السياسة، بعيد النظر، توسط بين قبيلتي بكر وتغلب في حرب البسوس وتمكن من إنهائها. كما أن الحارث لفت نظر ملوك فارس إليه، حين رغب الملك الفارسي قباد في إيجاد منافس قوي أمام المنذر الثالث ملك الحيرة الذي قامت بينه وبين الفرس منافسات شديدة. إلا أن استيلاء الحارث على مُلك الحيرة كان سبباً في قتله عام ٥٢٨م.

ولتوطيد دعائم كندة ولّى الحارث أبناءه شؤون القبائل الكبيرة. فكان أكبرهم حجر والياً على قبائل أسد وكنانة وغطفان، إلا أن نزاعه مع هذه القبائل، خاصة قبيلة بني أسد بعد مقتل أبيه، أدى بأسد إلى قتله فقام ابنه الشاعر امرؤ القيس مطالباً بملك أبيه واستعان بعدد من القبائل فلم تعنه واستجار بالقسطنطينية فلم تجره. ويُروى أنه أعطي فيها حلة مسمومة فلبسها فمات، وتذكر بعض الكتب العربية أن وفاة امرئ القيس كانت بتأثير من قبائل بني أسد في البلاط البيزنطي سنة ٥٤٠م. وبعد ذلك سقطت دولة كندة وأعلنت بعض قبائلها الولاء لدولة المناذرة وبعضها لدولة الغساسنة.

وجاء ذكر كندة في نقوش عربية جنوبية يعود تاريخها إلى حوالي القرن الثاني الميلادي. وتذكر هذه النقوش كندة بوصفها كياناً سياسياً على شكل اتحاد قبلي وعلى رأسه ملك في قرية ذات كهل. ثم تذكر النقوش دور أهل كندة فرساناً في فيالق جيش سبأ. ومن المعروف أن نقش جام الذي يحمل الرقم ٦٣٥ يذكر أن ملك سبأ، شعر أوتر، الذي حكم في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث للميلاد، أرسل حملة عسكرية إلى قرية ذات كهل ضد ربيعة ذي آل ثور ملك كندة وقحطان. أما نقش جام ذو الرقم ٢١١٠ فيذكر أن ملكي سبأ إيل شرح يحضب وأخاه يأزل بين اللَّذين عاشا في حوالي منتصف القرن الثالث، أرسلا سفيراً إلى ملك الأزد الحارث بن كعب، وإلى مالك بن بد ملك كندة ومذحج. وربما كان ملك كندة ومذحج هو نفسه ملك كندة الذي ورد

في نقش جام ذي الرقم ٥٧٦ باسم مالك الذي بعث برهينة مهمة إلى مأرب ليوالي بها الملكين المذكورين سلفاً.

أما النقوش العربية الجنوبية من عهد الملك شمر يهرعش في أواخر القرن الثالث، فتخبرنا أن كندة كانت على وفاق معه، كما شاركت ضمن جيوشه الغازية فوارس بدوية منها ومن مذجح.

الغساسنة. هي من الممالك العربية الشمالية التي نشأت بعد سقوط دول الجنوب والشمال. فقد استطاعت مجموعة من القبائل في بلاد الشام تكوين دولة عرفت فيما بعد باسم مملكة الغساسنة. وأطلق المؤرخون المسلمون على القبائل التي انتسب إليها الملوك الغساسنة اسم آل جفنة وآل ثعلبة وآل غسان. ويرى الإخباريون العرب أن الغساسنة نزحوا من جنوب الجزيرة العربية، وينسبون إلى قبيلة الأزد وفي طريقهم شمالاً نزلوا على ماء في سهل تهامة يسمى غسان فنسبوا إليه. وبعد وصولهم إلى بلاد الشام نزلوا بجوار قبائل عربية قوية تدعى قبائل الضجاعمة وهي من قضاعة، كان يستعملها الروم لحماية حدودهم الصحراوية. وقد خضع لها الغساسنة حيناً ثم ثاروا عليها بعدئذ حتى أجلوها عن أماكنها. عند ذلك أقرهم الروم ليعملوا باسمهم على مناطق الحدود وفي القوافل التجارية. وقد أنشأ الغساسنة دولة على أطراف بلاد الشام موالية للدولة البيزنطية، حيث تمركز الغساسنة في بصرى والجابية ودمشق، كما يذكر بعض المؤرخين أن منطقة الغساسنة هي المرتفعات السورية.

ويبدو أن قبائل الغساسنة نزحت في أواخر القرن الثالث الميلادي، كما أنهم ينسبون إلى جد أعلى هو عمرو بن عمرو بن ماء السماء. ويذكر المؤرخون أن ابنه جفنة هو المؤسس الحقيقي لدولة الغساسنة.

ومن الملاحظ أن الغساسنة جاءوا إلى المنطقة بدينهم الوثني ولكنهم بعد ذلك اعتنقوا النصرانية. وقد دعا ملوك الغساسنة إلى دولتهم شخصية دينية هي يعقوب البرادعي، فنشر مذهبه النصراني الذي عرف فيما بعد بالمذهب اليعقوبي الذي ينادي بأن للمسيح طبيعة واحدة. كما اختار الغساسنة الكتابة الآرامية وسيلة للتخاطب مع المجتمعات البشرية الأخرى في منطقة الهلال الخصيب. وبلغت دولتهم أوج ازدهارها خلال القرن السادس الميلادي.

وذكر المؤرخون عدداً كبيراً من حكام الغساسنة يتراوح ما بين أحد عشر واثنين وثلاثين، وسموهم ملوكاً. ولكن الراجح أن عدداً من حكامهم الأوائل لم يكونوا أكثر من مشايخ قبائل كبار خلع عليهم

المماليك العربية المتأخرة: الغساسنة والمناذرة وكندة

البيزنطيون لقب والي Phylarchos، ولقب بطريق أو أب Patricius.

ومن أبرز ملوك الغساسنة، ممن احتفظت الروايات البيزنطية والعربية بأعماله، الحارث الثاني ابن جَبَلة (٥٢٩-٥٦٩م). وسبب بروز شخصية الحارث هو صراعه مع المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة، فكان انتصار الحارث على المنذر سنة ٥٢٩م سبباً في أن يحوز الحارث إعجاب الإمبراطور البيزنطي جوستنيان فعينه سيداً على القبائل في سوريا وجعله نائباً عنه في المنطقة. وقيل إنّ المنذر أسر ولداً للحارث سنة ٥٥٤م وذبحه قرباناً للعزى، كما أسر الحارث ولدين للمنذر في موقعة أخرى في العام نفسه. وقُتل المنذر قرب قنسرين سنة ٥٥٤م في الموقعة المعروفة لدى العرب بيوم حليمة، وهي ابنة الحارث الثاني ابن جبلة.

وخلف الحارث ولده المنذر (٥٦٩-٥٨١م) الذي عمل على حماية حدود بيزنطة بالإضافة إلى حماية المذهب اليعقوبي. كما قام بزيارة الإمبراطور

تيبيريوس الثاني ما بين سنتي ٥٧٨ و٥٨٢م وطلب من المنذر محاولة التوسط بين المذهب ذي الطبيعة الواحدة وبين المذهب ذي الطبيعتين.

وقد مُني المنذر والبيزنطيون بهزيمة أمام الجيش الفارسي جعلت بيزنطة تشك في ولاء المنذر لها. فألقي القبض عليه واقتيد إلى القسطنطينية ثم نفي إلى صقلية.

حاول أولاد المنذر الغساني أن يثأروا له من البيزنطيين، وكان على رأسهم أخوهم الأكبر النعمان. ولكن محاولاتهم باءت بالفشل، وتشتت شمل أسرتهم الحاكمة واختارت كل قبيلة رئيساً لها. ويظهر أن النهاية الواضحة لدولة الغساسنة كانت سنة ٦١٣م عندما هاجم خسرو برويز، ملك الساسانيين، بيت المقدس واحتل المنطقة، إلا أن دولة بيزنطة استطاعت أن تعيدها إلى حوزتها من الساسانيين.

ويذكر الكُتّاب العرب أن آخر ملوك الغساسنة هو جَبَلة بن الأيهم الذي عاصر الفتح الإسلامي للشام وقاد الجيوش العربية ضد جيوش الفتح الإسلامي في موقعة اليرموك سنة ٦٣٦م. ودخل جبلة الإسلام في عهد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وجاء إلى المدينة ثم ذهب ليطوف بالكعبة فداس أحد الطائفين طرف عباءته فشعر بأن كرامته قد امتهنت فصفع جبلة ذلك الطائف، فبلغ ذلك عمر، فأمر أن يقتص للرجل من جبلة، فغضب جبلة وهرب إلى بلاد الشام وارتد إلى نصرانيته. ثم ذهب إلى القسطنطينية حيث مات هناك.

وذكر المؤرخون المسلمون أن من عواصم الغساسنة جُلَّق (ربما جلين الحالية أو الكسوة، على بعد ١٦كم جنوبي دمشق)، والجابية في منطقة الجولان. وبعد أن تحضرت جماعات بني غسان في بلاد الشام أولت اهتمامها لمشروعات الري والزراعة، خاصة في إقليم حوران. واشتهرت بعض المدن بالتجارة الخارجية في أيامهم، مثل مدينة بصرى عاصمة إقليم حوران، ثم مدينة الرصافة شمال تدمر، حيث جدد الغساسنة كنائسها وأديرتها. وتأثرت حضارة الغساسنة بالحضارات الشامية المحلية والبيزنطية والساسانية، شأنها في ذلك شأن الحضارة الأموية. وبقي ذكر الأمراء الغساسنة في التاريخ المسيحي لأنهم كانوا من أنصار مذهب الطبيعة الواحدة، أي المذهب المونوفستي أو المذهب اليعقوبي.

وقد خلد ذكر أمراء الغساسنة في الأدب العربي شاعران هما النابغة الذبياني الذي قصدهم بعد خلافه مع ملوك الحيرة،

ثم حسان بن ثـابت الذي نزل ببلاطهم وخصهم بمدائح قبل دخوله في الإسلام.

المنـاذرة. كان المـناذرة في الـغالـب مجموعة من القبائل العربية التي تنحدر من جنوب الجزيرة وشمالهـا ووسطها، وقد نسبت هذه المملكة العربية إلى تنوخ تارة وإلى لخم تـارة أخرى، كما سمي ملوكها باسم بني نصر أيضاً.

تأسست دولة المناذرة في بداية القرن الثالث الميـلادي، وكان قيامها معاصراً لسـقوط الدولة الـبارثيـة وقيام الدولـة الساسانية فـي بلاد فارس. أما عاصمة الدولـة فكانت الحـيرة، وفُسر اسـمها الآرامي حيرتا كما في العربية الحيرة بمعاني المخيـم والمعـسكـر والحصن ومـوضع الإقامة.

اختلف المؤرخون حول مؤسس هذه المملكة، فذهب بعضهم إلى أنه نصر بن ربيعة بن لخم بن عدي، ويرى ابن الكلبي أن أول ملوكهم هو مالك بن فهد، ثم تلاه جذيمـة الأبرش بن مالك بن فـهم الذي يعده مـعظم المؤرخين أول ملـوك الحيرة

وتعد المصادر التاريخية عمرو بن علي بن نصر بن ربيعـة بن لخم هو المؤسس الحقيقي لدولة اللخميين، نسبة إلى لخم وهو ابن أخت جذيمة الأبرش الذي لقي حتفه على يد ملكة عربـية تسمى الزباء زنوبيا ملكة تدمر.

أما أول ملك لخمي له أعمال واضحة فهو امرؤ القيس بـن عمرو المتوفى عام ٣٢٨م صاحب نقش النمارة المشهور الذي تحدث فيه عن انتصاراته العسكرية، وقد سمى نفسه بملك العرب.

ومن أشهر الملوك الذين جاءوا بعد امرئ القيس الأول النعمان الأول الذي سُمي بـالأعور (٤٠٠-٤١٨م)، وكان هذا الملك على علاقة حسنة بالساسانيين، وله أعـمال كثيـرة، فقد بنـى قصريـن مشهورين يسميان الخورنق والسدير.

ومنذ عهد المـنذر بن النعمان الأول (٤١٨-٤٦٢م) أصبحت دولة المناذرة تقوم بدور مهم في حوادث المنطقة. فبعد موت يزدجرد رفض رجال الدين الفرس تنصيب بهرام بن يـزدجرد ملكاً عليهـم لأنه لم ينشأ تنشئة فارسية. لكن المنذر-الذي تربى مع بهرام في بيت النعمان-انتصر لبهرام على رجال الدين في فارس وعاونه بفرقته العربية الضاربة دوسر، وتوج بهرام ملكاً على بلاد فارس.

ومن أشهر ملوك الحيرة المنذر بن ماء الـسمـاء الثـالث (٥٠٥-٥٥٤م) الـذي اتسعت فتوحاته حتى وصلت إلى أنطاكية. وكان عـلى علاقـة مودة مع ذي نـواس

الحميري. ولم يفسد على دولة الحيرة أمرها في عهد المنذر الثالث إلا عداؤها لفريقين من العرب، هما الغساسنة وكندة. وكان يرأس الغساسنة في عهد المنذر، الحارث بن جبلة، فاتصلت بينهما الحروب، واستطاع المنذر أن يهزم الغساسنة ويأسر ابن الحارث الغساني ويقدمه قرباناً للعزى ومعه مجموعة من الأسرى.

وبعد تولي قباذ الحكم في بلاد فارس دَبّ الخلاف بين الفرس والمناذرة إذ حاول قباذ أن يفرض مذهبه الإيامي على المناذرة الذين بدأت المسيحية تنتشر بينهم. لكن المنذر بن ماء السماء أبى ذلك، مما أدى إلى عزله من قبل قباذ ملك الفرس، وولّي الحارث بن عمرو الكندي ملكاً على مجموعة من القبائل اللخمية في حوالي سنة ٥٢٤م. واستمر المنذر في المنفى إلى حين مجيء كسرى أنوشروان إلى الحكم فأرجع المنذر إلى الحكم، ومن ثم انتقم المنذر من الكنديين.

ثم تعاقب على حكم الحيرة ملوك، اشتهر منهم عمرو بن المنذر الثالث المعروف بعمرو بن هند (٥٥٤-٥٧٤م) الذي قصده الشعراء من كل حدب وصوب، وألمح الأعشى في شعره إلى سعة ملكه وامتداد سلطانه. ولقي عمرو هذا حتفه على يد عمرو بن كلثوم.

واشتهر من ملوك المناذرة أيضاً النعمان الثالث بن المنذر (٥٨٣-٦٠٥م) المعروف بأبي قابوس، وهو الذي قصده النابغة الذبياني. ويعد النعمان هذا لدى المؤرخين أول ملك نشأ مسيحياً وعُمِّد في الكنيسة. وقد وقعت خصومة بينه وبين كسرى ملك الفرس الذي تمكن منه وسجنه فمات في حبسه.

ويعد النعمان الثالث آخر الملوك العظام في الحيرة، واختلف أولاده على الحكم بعد موته. فاستغل كسرى هذا الاختلاف وولى على الحيرة ملكاً من غير أسرتهم سنة ٦٠٥م هو إياس بن قبيصة الطائي الذي عاون جيوش الفرس ضد جيوش الروم، كما أنه قاد أعوان الفرس ضد عرب الجزيرة العربية في الحرب المعروفة باسم واقعة ذي قار حيث انهزم هو وجنوده هزيمة منكرة (٦٠٩-٦١١م).

وفي الفترة من ٦١٤-٦٣١م حُكمت الحيرة من قبل حاكم فارسي مباشر، إذ تولى شؤون الحكم فيها فارسي يدعى أزادبه أو أزاذبه وقد عجز عن بسط نفوذه خارج حدودها. وفي عامه الأخير نافسه على الحكم شاب من نسل المناذرة يسمى المنذر ويلقب بالمغرور، وقد جاءت نهايتهما معاً بالفتح الإسلامي سنة ٦٣٢/ ٦٣٣م.